



عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال - صل الله عليه وسلم -: (من خاف أذلة، ومن أذلة بلغ المنزل، إلا إن سلعة الله غالبة، إلا إن سلعة الله الجنة) [1]

ما أجمل أن ترزق الخوف من الله، وما أحلى أن تكون وقافا عند أوامره؛ وما أروع أن تتيقن أنك موعود بالفلاح والنجاح إن اتقيته.. إن مسألة الخوف من الله عز وجل ومراقبته من لوازم الأمور في كل وقت، وفي وقتنا هذا بالأخص الذي أصبح يعج بأنواع المغريات والفتن التي تتعارض مع أوامر الله تعالى ونواهيه.

والخوف هو ألم يلازم القلب الم قبل على الله بسبب توقع المكرور في المستقبل. والفرق بين الخوف من الله والخوف من غيره يقول أبو القاسم الحكيم: من خاف شيئا هرب منه، ومن خاف الله هرب إليه. وأخبر الحق جل شأنه عن حال أهل الجنة وهم يذكرون حالهم في الدنيا: { وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون، قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين، فمن الله علينا وفانا عذاب السموم } [الطور: 25-27].

وفي الحديث القدسي: (قال الله تعالى: وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين، فإن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيمة، وإن خافني في الدنيا أمنته يوم القيمة) [2]

وعلى قدر العلم بالله سبحانه وتعالى ومعرفة العبد بنفسه يكون الخوف والخشية، فكلما قوي إيمان العبد وزادت معرفته بربه زاد خوفه منه وخشيته، كما قال النبي - صل الله عليه وسلم -: « فو الله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية » [3]

إن الخوف من الله سبحانه وتعالى يبعث على نيل الطاعات وترك المنهيات ولا خير فيمن لا يخاف الله سبحانه، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال - صل الله عليه وسلم -: « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقه فأخافها حتى لا تعلم شماليه ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله حالياً ففاضت عيناه » [4]، وقال - صل الله عليه وسلم -: « لا يلتج النار من يكى من خشية الله، حتى يعود اللب في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منكري مسلم أبداً » [5]

ومن أعظم ثمرات الخوف أنه يقمع الشهوات ويكرد اللذات فتصير المعاصي التي كانت محببة إلى النفس مكرهة، فتحترق

الشهوات بالخوف وتأدب الجوارح ويدل القلب ويستكين، ويفارقه الكبر والحسد والحق ويسير مستوعباً الهم لخوفه من ربه عز وجل وينظر في خطر عاقبته.

قال الله تعالى: { قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم، من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين } [الأنعام:15-16]

والمتأمل في أقوال السلف يجد العجب العجاب على صلاحهم وطاعتهم وجهادهم. فهذا عمر - رضي الله عنه - كان في وجهه خطان أسودان من الدموع، وكان يأخذ تبنة من الأرض ويقول: (يا ليتني كنت هذه التبنة، يا ليتني لم أك شيئاً مذكوراً).

وهذا أبو عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه - يقول: (وددت أني شاة فيذبحني أهلي فياكلون لحمي ويحسنون مرقي). وهذا عبد الله بن المبارك يقول: (لو أن رجلاً وقف على باب المسجد ونادى ليخرج شر الناس لما سبقني إليه إلا رجل أوتى أكثر مني قوة أو سمعاً).

وعن مالك بن دينار قال: بينما أنا أطوف باليت إذ أنا بجويرية متعددة متعلقة بأسثار الكعبة وهي تقول: يا رب كم شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها، يا رب أما كان لك أدب وعقوبة إلا النار .. وتبكي، فما زال مقامها حتى طلع الفجر.. قال مالك: فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي صارخاً أقول: ثكلت مالكا أمه.

وكان أبو سليمان الداراني يقول: ما فارق الخوف قلباً إلا خرب.

وقال يحيى بن معاذ: مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة.

وقال ذو النون: من خاف الله ذاب قلبه، واشتد حبه، وصح له لبه.

يقول الغزالى رحمة الله: والمحمود من الخوف هو الاعتدال والوسط، فأما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء، يخطر على البال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع، وكذلك عند مشاهدة سبب هائل، فإذا غاب ذلك السبب عن الحس، رجع القلب إلى الغفلة، فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع، وأما الخوف المفرط فإنه الذي يقوى ويتجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط وهو مذموم لأنه يمنع من العمل، فالمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل، ولذلك قيل أن الخوف هو سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى [6]

قال المناوي: (من خاف أدلج) سار من أول الليل (ومن أدلج بلغ المنزل) يعني من خشي الله أتى منه كل خير، ومن أمن اجترأ على كل شر، وقال في الرياض: المراد التشمير في الطاعة. وقيل: معناه من خاف ألمه الخوف السلوك إلى الآخرة والمبادرة بالعمل الصالح وخوف القواطع والعواقب. والأظهر أنه ضرب مثلاً لكل من خاف الردى أو فوت ما يتنى أن يصل إلى السير بالسرى ولا يركن إلى الراحة والهوى حتى يبلغ المنى (ألا إن سلعة الله غالبة) أي رفيعة القدر (ألا إن سلعة الله الجنة) قال الطيبى: هذا مثل ضربه لسالك الآخرة فإن الشيطان على طريقه، والنفس وأمانية الكاذبة أعنانه، فإن تيقظ في سيره وأخلص في عمله أمن من الشيطان وكيده ومن قطع الطريق. وثمن هذه السلعة العمل الصالح المشار إليه بقوله: { والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً } [الكهف:46]، وقال العلائي: أخبر أن الخوف من الله هو المقتضي للسير إليه بالعمل الصالح وال المشار إليه بالإدلاج، وعبر بلوغ المنزلة عن النجاة المترتبة على العمل الصالح وأصل ذلك كله الخوف [7]

[1] رواه الترمذى في الزهد والحاكم في الرقاد (صحيح) انظر حديث رقم: 6222 في صحيح الجامع. [2] رواه ابن حبان مرسلا [3] صحيح الجامع 5573 [4] رواه البخارى ومسلم [5] صحيح مشكاة المصايب 3751 [6] إحياء علوم الدين بباب الخوف بتصرف [7] فيض القدير للمناوى 125/2 بتصرف.

صيد الفوائد

المصادر: